الشباب في عهد الرسول ﷺ

- ٢ -

لطفه بالشباب وحبه لهم وخوفه عليهم وتأديبهم

ليس هناك شيء املك لنفوس الشباب ولا أقوى جذباً لهممهم ولا اورى لزنادهم من اللطف بهم والعطف عليهم ولقد كان الشباب من الأصحاب يدعون آباءهم وأمهاتهم ويتخذون من النبي الكريم صلوات الله عليه أباً وأماً ومعلماً ونبياً يعكفون عليه ويفدونه بأنفسهم وآبائهم وأمهاتهم . ليس الا لأنه يتخذ من هذه النفوس اللدنة وهذه المشاعر الحادة ذريعةً لطيها على أنبل العواطف واحصف العقول . فعن معاذ قال : اخذ رسول الله (ص) يوماً بيدي ثم قال يامعاذ والله اني أحبك فقال له معاذ : بأبي انت وأمي يارسول الله وانا والله أحبك فقال : أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة ان تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

ولما اراد ان يبعثه الى اليمن قاضياً ركب معاذ ورسول الله يمشي الى جانبه يوصيه فقال يامعاذ أوصيك وصية الأخ الشفيق أوصيك بتقوى الله وعد المريض وأسرع في حوائج الأرامل والضعفاء وجالس الفقراء والمساكين وانصف من نفسك وقل الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم . فأي اثر أحدثت هذه الوصية في قلب معاذ بعد ان لابسها من لطفه عليه السلام وعطفه ما جعله يشغف حباً بالنبي ويصبح شعلة من الايمان والعلم والحرية والضمير وكثيراً ما يبسط لهم من أنسه فيسائلهم، يجمع لهم بذلك بين التعليم والمباسطة والاختبار ، دخل معاذ على رسول الله (ص) فقال كيف اصبحت يا معاذ قال اصبحت مؤمناً بالله تعالى قال : ان لكل قول مصداقاً ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول ؟ قال يا نبي الله : ما اصبحت صباحاً قط الا ظننت اني لا امسي وما امسيت مساءً قط الا ظننت اني لا أصبح ولا خطوت خطوة الا ظننت اني لا أتبعها أخرى وكأني انظر الى كل أمة جاثية تدعى الى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكأني انظر الى عقوبة أهل النار وثواب اهل الجنة ، قال عرفت فالزم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان ذلك كله حتى لقد أورثهم حرية في التفكير وجرأة في الاستفادة وصدعاً بما يرونه الحق ، لا يحجمون ولا يراعون وانتهى بهم الأمر الى ان يسألوا النبي حتى عن الشرور وتفصيلها بل كانوا يحبون ان يستطلعوا الاشرار من الناس ولو كان النبي لا يرى الجهر بسوآت الرجال قال معاذ تصديت لرسول الله (ص) وهو يطوف فقلت يا رسول الله ارنا شر الناس فقال سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر شرار الناس شرار العلماء في الناس نعم لقد كان ينفق في سبيلهم جهده وعنايته فيجيبهم اذا سألوه ويستمع اليهم اذا حدثوه ويعلي شأنهم اذا فازوا بحق او صواب ويقف دون شططهم اذا دفعهم دم الشباب الى ذلك ولو كان بسبيل من طاعة او تقوى لئلا يُضروا بأنفسهم فيمسهم السوء فان للشباب شرةً ونزوة فان هو اعطاهما الليان وأرخى لهما العنان فقد ينفقان من عمره ومن جلده ومن مُنة ما يعجل له القضاء فيكون كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً ابقى ، قال النبي عليه السلام لعبد الله بن عمرو بن العاص : الم أُخبر انك تقوم الليل وتصوم النهار فقلت اني افعل ذلك فقال انك ان فعلت ذلك هجمت عيناك ونفهت نفسك ان لعينيك حقاً ولأهلك حقاً ولنفسك حقاً فقم ونم وصم وافطر وقال عبد الله بن عمرو بن العاص جمعت القرآن فقرأته في ليلة فقال رسول الله اني أخشى ان يطول عليك الزمان وان تمل قراءته ثم قال اقرأه في شهر قلت يا رسول الله دعني استمتع من قوتي ومن شبابي قال أقرأه في سبع قلت يا رسول الله دعني استمتع من قوتي ومن شبابي فأبى ، وقد حفل النبي بالشباب وحفظ لهم أقدارهم حتى كانوا عنده موضع شفاعة الناس ووسيلتهم اليه حتى آثرهم القوم في الشفاعة على غيرهم ما لم تكن الشفاعة في حد من حدود الله فما كان ليقبل فيه شفاعة الشافعين ولا وسيلة المتقربين ففي طبقات ابن سعد : كان أُسامة يأتي النبي في الشيء فيشفعه فيه فأتاه مرة في حد فقال يا أُسامة لا تشفع في حد وعن عائشة ان قريشاً أهمهم شأن المرأة التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله (ص) فقالوا ومن يجترىء عليه الا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله (ص) فكلمه أُسامة فقال رسول الله (ص) لم تشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام النبي (ص) فاختطب فقال : انما اهلك الذين من قبلكم انهم اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها — كل ذلك قد كان ؛ لطف ووداعة ورفق واحترام وايناس وترغيب وتثقيف وتشجيع يهذب بذلك من طبائعهم ويقوم من أخلاقهم ويشرح صدورهم وينعش أفئدتهم حتى اذا بدرت من احدهم خطيئة عالجها بالحكمة والموعظة معالجة ألمعي محنك ، عن الخضرمي قال بلغني ان رسول الله (ص) بعث أسامة بن زيد وكان يحبه ويحب أباه قبله ، بعثه على جيش وكان ذلك من أول ما جرب اسامة في قتال وعمره نحو من ثماني عشرة سنة ، فلقي فقاتل فذكر منه بأس قال اسامة فأتيت النبي (ص) وقد أتاه البشير بالفتح فاذا هو متهلل وجهه فأدناني منه ثم قال حدثني فجعلت أحدثه فقلت فلما انهزم القوم ادركت رجلاً وأهويت اليه بالرمح فقال الرجل لا إله الا الله فطعنته فقتلته فتغير وجه رسول الله [ص] وقال : ويحك يا أسامة فكيف لك بلا إله الا الله فلم يزل يرددها عليّ حتى وددت اني اسلخت من كل عمل عملته واستقبلت الإسلام جديداً فلا والله لا أقاتل أحداً قال لا اله الا الله بعدما سمعت من رسول الله فهذه المعاملة بضروبها من ترغيب وترهيب هي التي انجبت وأخرجت من هؤلاء الشباب عظماء الدنيا وسادتها وقادتها كما أبرزت منهم انصع صفحات الايمان والشجاعة والعلم والخلق

إيمان الشباب ويقينهم

حين تلفظ الحياة سمائمها وتنضح من طبائعها فتستشرى بعنت الزمن وتتزى بموبقات المادة ولا تؤمن الا بالقوة ولا تستسلم الا لموجبات حيوانية فما على الناس — والأمر كذلك — الا ان يهرعوا من حمارة هذه الهاجرة التي تنذر بالثبور فيتفيؤا النعمة الوارفة في قرارة الامن والسعادة من جنة الايمان ، فلولا الايمان الذي كان مفزع الأمم في الغابر والحاضر ومثوى افئدتها حين تعصف بها اعاصير الويلات والمحن وتدكها زلازل النوازل اقول لولا الايمان خلت الحياة من كل معنى الا ميكانيكيتها التي تجري مطردة تحسن مرة وتسيء مرات وترضي حيناً وتسخط أحياناً بل لولا الايمان لما كان لإحسانها وإساءتها ولا ارضائها واسخاطها قيمة ولا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وزن فاذا آمن الانسان فرجت له مشاكل الحياة وانحلت له عقدة الموت وفرح بعقيدة الخلود وثاب الى الطمأنينة وراحة الأبد ، وما كان الايمان يوماً ملكناً عن التقدم الا اذا أساء اهله استعماله انما الايمان داعية ملحة الى العمل والتسابق في ميادين النهضات لا لشيء الا ارضاء الله فيما ينفع الفرد وينفع المجموع ويقضي على فردية غاشمة تعيث بمصلحة عامة كما يقضي على اجماع يعبث بمصلحة الفرد هذا هو الايمان الذي اثبت القدرة الهائلة وأنتج الاقدام الرهيب في تهذيب البشرية وتقويم طبائعها يوم ان نقلت من حال الحسن حال ايام النبي محمد ومعه أصحابه الذين بلغوا أعلى درجات الامكان في الايمان والثبات عليه واليقين به ولو لا هذا الثبات وهذا اليقين من هذه الفئة السابقة لما كان من الجائز ان تبزغ وشيكاً دعوة الرسول وتمتد بهذه السرعة الى الآفاق ، وما يكون من بدع الأمر ان تكون هذه الفئة السابقة الى الاسلام والمؤمنة به هي من الشباب . لأنه ما من نهضة تحمل طبائع التجديد ولا ثورة تريد ان تصطلم التقاليد ولا انقلاب يطغى على مواريث قومية ولا اصلاح يغسل من أوضار التعفن النفسي الا واستبق اليه الأحداث قبل غيرهم وأضرموه بنشاطهم وهمهم وتفانوا في سبيله فهم انضر عاطفةً والين قلوباً وادنى الى الفطرة وانأى عن التعقيد والتركيب فقد كانت تصادف منهم الدعوة قلوباً حيةً خاليةً من الشوائب فيستجيبون اليها مسرعين وينحلونها مخلصين ولما برز النبي بالرسالة لم يلف بين يديه من يثق به ويعتمد عليه بعد زوجه أم المؤمنين خديجة الا عليّ ابن أبي طالب ذلك الفتى الذي وجد النبيُّ من تلبه الكبير ونفسه الطيبة وطويته المأمونة اعظم مثال للرجل يتفانى في عقيدة ويرخص في سبيلها نفسه وماله ومن السابقين الأولين زيد بن حارثة وطلحة وسعد بن ابي وقاص والزبير بن العوام وعثمان ابن عفان وعبد الله بن مسعود وكلهم لا يزالون في فتوة السن حتى اذا بلغوا تسعة وثلاثين رجلاً كثرتهم الساحقة من الشباب أذن الله للشاب المغشم الجلد من الفتيان عمر بن الخطاب ان يُسلم فأعلنه على ملأ من الناس صادعاً بالحق مناضحاً عن الدعوة حامياً لها واذا قلنا السابقين الأولين فانما نعني أولئك الذين صبروا في البأساء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والضراء وحين البأس فلقد كان ينتابهم من لواهد الحوادث ما لا يقوى على حملها هذا الجسم البشري بالغاً ما بلغ من المنعة والثبات والقوة ويكفي ان نذكر حادث الشعب الذي لبثوا فيه ثلاث سنوات حرموا فيها الطعام والشراب حتى نال سعد وكان عمره في هذه الحادثة نحواً من ست عشرة سنة لقد رأيتنا مع رسول الله وما لنا طعام الا ورق الشجر حتى يضع أحدنا كما تضع الشاة وكم نالوا من الأذى حين عزموا على هجرتي الحبشة والمدينة وكتب السير مستفيضة من هذا كل ذلك في سبيل إيمانهم وفي سبيل ثباتهم على دعوتهم فأصبحوا منها كتلة متماسكة فلا يجبنون ولا يرهبون ولا يبالون ما داموا يؤمنون فلقد كان عم الزبير (وعمر الزبير نحو من عمر سعد) يعلقه في حصير ويدخن عليه بالنار وهو يقول : ارجع الى الكفر فيقول الزبير لا أكفر ابداً ولما اسلم عبد الله بن سهيل بن عمر رجع الى مكة فأخذه ابوه فأوثقه عنده وفتنه في دينه فلما كان يوم بدر خرج عبد الله بن سهيل الى نفير بدر مع المشركين وهو مع أبيه سهيل بن عمرو في نفقته وفي حملانه ولا يشك ابوه انه قد رجع الى دينه فلما التقى المسلمون والمشركون ببدر وتراءى الجمعان انحاز عبد الله بن سهيل الى المسلمين حتى جاء رسول الله (ص) قبل القتال فشهد بدراً مسلماً فغاظ ذلك أباه غيظاً شديداً ومن هذا كثير ذائع ولئن اصابهم من ذلك ما أصابهم فلقد تعزوا عن ذلك بتعزية روحهم ودعم يقينهم وصدقهم بحراسة مبدأ دعوتهم حتى فيما نالوه من صنوف الايذاء وألوان العذاب .

جهاد الشباب وشجاعتهم

الجهاد في الإسلام فرع من فروع الايمان والشجاعة من نتاج العقيدة فاذا اتقدت في النفس جذوة الايمان وفار فيها مرجل العقيدة كان منها ابلغ ما ينتهي اليه البشر من الايد والبسالة والاقدام ولئن كان اكبر مفاخر العرب في جاهليتها واكبر ما اشتهرت به وبرزت فيه الحرب والشجاعة بصنوفها كلها فان الإسلام قد نجد رجالاً يزرون لا بأبطال العرب بل بأبطال الدنيا ، وغزوة بدر مع قريش وغزوة مؤتة مع الروم وواقعة القادسية مع الفرس برهان على ذلك لا شك فيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما يكون من التحيز في شيء ان نعترف ان للشباب في ميدان الجهاد والمفاداة اكبر نصيب في الحروب التي دارت رحاها في زمن النبي (ص) وها هي اكثر الغزوات والسرايا وأكبرُهما ينصحان عن ذلك فأما غزوة بدر وهي اعظم غزوة تم فيها الانتصار للمسلمين على قلة العدة والعدد وكان لهم بها الفتح المبين — فقد كان حامل الراية فيها عليٌّ بن أبي طالب شاباً يناهز الاحدى والعشرين من عمره ، وفارس الميمنة الزبيرُ بن العوام شاباً في نحو عمر عليٍّ والذين كانوا يتجسسون انباء العدو ويتسقطون خبره هم شبانٌ أيضاً علياً والزبير وسعد ولما بدأت المبارزة كان الشباب يتسابقون اليها قبل غيرهم ففي حديث بدر : لما برز عتبة وشيبة والوليد برز اليهم شبابة من الأنصار ثم لما التحم القتال وحمي الوطيس كان الشباب أشد الرجال بلاءً واثبتهم رجلاً واصبرهم على مكروه فها هو علي ما قام اليه فارس الا اقعده حتى أُحصي من صرعاه ما لم يُحص لغيره كثرةً وها هو الزبير قاتل في ذلك اليوم قتالاً شديداً حتى كان الرجل يُدخل يده في الجراح في ظهره وعاتقه ، واما غزوة أُحد فهي الغزوة التي اثارها الشباب وحدهم حتى قال في ذلك بعض المنافقين في كلمة حق : فتيان احداث لم يشهدوا بدرا فطلبوا من رسول الله الخروج الى عدوهم ورغبوا في الشهادة هذا ما قاله ولئن خسرها المسلمون فما خسروها لانهم ليسوا اكفاء لخوضها او لان الرأي فيها لم يغبّ فقد انتصروا انجز انتصار في البدء على عدوهم ، وغلبوهم على امرهم فلما طمعوا في متاع الدنيا واغفلوا امر النبي ضرب عليهم الخذلان وُمنوا بالهزيمة على ان هذه الغزوة كان فيها فضل الكشف عن اقدار الرجال وامتحان قلوبهم في حالتي النصر والهزيمة فكان الشباب فيها صُبراً عند اللقاء صُبراً عند البلاء ، اما انهم صُبر عند اللقاء فقد كانوا أول من خزل طليعة المبارزين من المشركين فقد صاح طلحة بن ابي طلحة صاحب لواء المشركين من يبارز ؟ فبرز له علي فقتله ثم حمل اللواء عثمان بن ابي طلحة فقتله حمزة فحمله رجل فرماه سعد فقتله فحمله مسافع فرماه عاصم بن ثابت ثم حمله كلاب فقتله الزبير بن العوام ثم حمله الجلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله ثم حمله أرطاةُ بن شراحيل فقتله علي بن أبي طالب فها نحن نرى ان هؤلاء الذين نازلوا العدو فقتلوه كانوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شباناً ليس فيهم الا حمزة بن عبد المطلب : واما انهم صبر عند البلاء فقد كان رسول الله يقول : ما صبر معي يوم أُحد غير طلحة لقد كان يقيني النبل بكفيه وقال طلحة لما كان يوم أُحد حملت النبي (ص) على عنقي حتى وضعته على الصخرة فاستتر بها عن المشركين وما انصرف الرسول يوم أُحد حتى قال لحسان قل في طلحة فقال :

وطلحةُ يوم الشعب آمى محمداً على ساعة ضاقت عليه وشقت
بقيه بكفيه الرماح وأسلمت اشاجعه تحت السيوف فشلت
وكان امام الناس الا محمداً اتام رحى الاسلام حتى استقلت

ثم أتى سعد فجعل ينضح بالنبل عن النبي وهو يقول له : ارم سعد فداك ابي وأمي ارم ايها الغلام الحزوّر اي المقارب للبلوغ وما من غزوة او سرية الا وكان للشباب فيها القدْح المعلي ولو رحنا نستقصي بذلك أخبارهم لملأنا بذلك أوراقاً كثيرة وحسبنا ان اكثر حملة الالوية منهم وان نجد اكثر من كانوا يكتنفون النبي من كل ما من شأنه ان يدل على مصاولة او جهاد منهم ايضاً فقد حرس النبي ليلة بدر ابو قتادة وسنه نحو من احدى وعشرين سنة حتى دعا له فقال : اللهم احفظ ابا قتادة كما حفظ نبيك هذه الليلة وهو الذي كان يقال له فارس رسول الله ، وكان قيس ابن سعد بن عبادة من النبي بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير قال ابو عمر كان يعني قيساً احد الفضلاء الجلة من دهاة العرب من أهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والسخاء والشجاعة وكان شريف قومه غير مدافع ، وعن عبد الله بن الزبير ان النبي قال يوم الخندق دل من رجل يذهب فيأتينا بخبر القوم فركب الزبير فجاء بخبرهم من بين الناس كلهم فعل ذلك مرتين او ثلاثاً فلما ركب الزبير في آخر مرة قال رسول الله لكل نبي حواري وحواري الزبير وعن ابن عباس ان رجلا شتم النبي فقال عليه السلام من يكفيني عدوي فقام الزبير فقال انا فبارزه فقتله

علم الشباب

يزدوج في الشريعة الاسلامية العلم والدين ازدواجاً لم يكن ليظهر له من أثر في الاديان قبل ، واذا تلنا العلم فانما نعنيه بالمعنيين جميعاً ، التثبت على ضوء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الضروريات والقطعيات ويشير اليه قوله تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعن والثاني العلم بفروع الدين وأصوله وبما لا يمكن ان تتم الا به وهذا يرجع الى كل ما في القرآن والسنة من تشريع وكلا العلمين كان له اكبر الأثر في عقول الصحابة ونفوسهم أما الأول فحسبه ان يكون له من الأثر في تفكيرهم ما ظهر منهم وراثات وتقاليد وأساطير وما غرس فيهم جديداً عن طريق قوله تعالى: قل انظروا ماذا في السموات وفي الأرض وقوله تعالى: وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقوله تعالى: أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت إلى كثير من هذه الآيات.

وأما الثاني وهو العلم بروح التشريع وأصوله وفروعه فهذا ما لا يجوز أن يكون للصحابة منه إلا الإحاطة والرسوخ او ليس الله قد قال: انما يخشى الله من عباده العلماء، او ليسوا هم أحقّ الناس بخشية الله وأولاهم بطاعته وتقواه إذن فهم العلماء حقاً الذين فهموا الدين كما يجب ان يفهم ووضعوا نواة العلوم الشرعية لمن بعدهم، والذي يجلب النظر ويستثير الغرابة ان يكون الشباب في زمن النبي هم أحقّ من نعنيهم ممن حملوا هذه الراية العظمى راية العلم ولو جئنا نستقصي أعلى الطبقة الاولى وألمعها من علماء الصحابة لألفيناهم شباباً منهم علي بن أبي طالب وابن عباس وابن عمر ومعاذ بن جبل وابو موسى الأشعري وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو وسعد بن ابي وقاص وانس بن مالك فمنهم جامعوا القرآن وهم زيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو ومنهم الذين عُنوا بالفتيا وكانت الطبقة الاولى منهم فقد صنفهم ابن حزم قائلاً اكثر الصحابة فتوى مطلقاً ستة عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وعائشة قال ويمكن الجمع من فتوى كل واحد من هؤلاء مجلد ضخم ومنهم من برع بالتأويل واسباب التنزيل وأشهرهم علي وابن عباس ومنهم من اجاد الفرائض والحساب وبعض اللغات وهو زيد ابن ثابت الذي قال في حقه النبي عليه السلام افرضكم زيد، ومجمل القول ان هؤلاء القوم هم الذين قاموا بالحركة العلمية الشرعية في جميع صنوفها في عهد النبي عليه السلام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهم الذين تولوا نشرها في الآفاق في مكة والمدينة واليمن والكوفة والبصرة ، وليس بالقليل ان نتحدث بعض الحديث عن بعض العلماء من شباب الصحابة فلنجتزئ ببعض من كل عن فتيين في الذروة من علماء الصحابة هما عبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل ويكفي ان نأتي بشهادة بعض الصحابة والتابعين فيهما فأما عبد الله بن عباس فقد شهر بين الصحابة والتابعين بالبحر حتى كان عطاء يقول : قال البحر وفعل البحر وكان عمدتهم في كل ما يتصل بالعلم والدين فعن ليث بن ابي سليم قال قلت لطاوس : لزمت هذا الغلام يعني ابن عباس وتركت الاكابر من أصحاب رسول الله فقال : اني رأيت سبعين من اصحاب رسول الله اذا تداروا في شيء صاروا الى قول ابن عباس وعن الحسن قال : اول من عرف بالبصرة عبد الله بن عباس قال وكان مبحثةً كثيرَ العلم قال فقرأ سورة البقرة ففسرها آيةً آيةً وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال سمعت أبي يقول : ما رأيت أحداً احضرَ فهماً ولا ألب لُبّاً ولا اكثر علماً ولا اوسع حلماً من ابن عباس ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات ثم يقول عندك ! قد جاءتك معضلة ثم لا يجاوز قوله وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار وقال عمر لما سئل ان يدعو ابناء المهاجرين كما يدعو ابن عباس فقال : ذاكم فتى الكهول له لسان سؤول وقلب عقول وقال علي فيه أيضاً : انا لننظر الى الغيث من ستر رقيق لعقله وفطنته الى ان قال ولنعم ترجمان القرآن عبد الله وكان ابن عمر يقول : اعلمنا ابن عباس وعن الأعمش خطب ابن عباس وهو على الموسم فجعل يقرأ ويفسر فجعلت اقول : ما رأيت ولا سمعت كلامَ رجل مثله لو سمعته فارسٌ والروم لأسلمت واحسن ما نختم القول فيه ما قاله عبيد الله بن عبد الله بن عتبةَ حين قال : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال بعلم ما سبقه ، وفقهٍ فيما احتيج اليه من رأيه ، وحلم وسيب ونائل وما رأيت احداً كان اعلم بما سبقه من حديث رسول الله (ص) منه ولا اعلم بقضاء ابي بكر وعمر وعثمان منه ولا أفقه في رأي منه ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ولا أعلم بما مضى ولا اثقف رأياً فيما احتيج اليه منه ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه الا الفقه ويوماً التأويل ويوماً المغازي ويوماً الشعر ويوماً ايام العرب وما رأيت عالماً قط جلس اليه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الا خضع له وما رأيت سائلاً قط سأله الا وجد عنده علماً وأما معاذ بن جبل فذاك الذي ملأ اليمن ومكة والمدينة من علمه حتى قال في حقه النبي عليه السلام اعلم امتي بالحلال والحرام معاذ وعن ابي مسلم الخولاني قال دخلت مسجد حمص فاذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي (ص) واذا فيهم شاب الكحلُ العينين براق الثنايا لا يتكلم فاذا امترى القوم في شيء اتجلوا عليه فسألوه فقلت لجليس لي من هذا فقال : معاذ بن جبل فوقع في نفسي حبه فكنت معهم حتى تفرقوا وقال ابن حوشب كان أصحاب رسول الله اذا تحدثوا وفيهم معاذ نظروا اليه هيبة له وكان عمر يقول حين خرج معاذ الى الشام لقد اخل خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وما كان يفتيهم به ولقد كنت كلمت ابا بكر ان يجلسه لحاجة الناس اليه فأبى علي وقال : رجل أراد جهاداً يريد الشهادة فلا أجلسه فقلت والله ان الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفي بيته ، عظيم الغنى عن مصره ، وخطب مرةً عمر بالجابية فقال : من كان يريد ان يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل وقيل لعمر بن الخطاب لو عهدت الينا فقال : لو ادركت معاذ بن جبل ثم وليته ثم قدمت على ربي عز وجل فقال لي من وليت على أمة محمد (ص) قلت سمعت نبيك وعبدك (ص) يقول : معاذ بن جبل بين يدي العلماء طائفةٌ يوم القيمة وهذا اقل من القليل في التحدث عن علماء الشباب ولو اردنا ان نعطيهم بعض حقهم من القول لوقفنا دون ذلك عاجزين والعذر باد بهذا الايجاز .

أخلاق الشباب

من العبث ان نريد التحدث بقليل من القول عن أخلاق هؤلاء الشباب ، لانه لم تنفرج الدنيا بعد عن أناس صلحوا للحياتين على أكمل الوجوه كما صلح هؤلاء وما عرف عن اتباع نبي ولا حكيم كما عرف عن اتباع النبي محمد عليه السلام مناعةً في الخلق وقوةً في النفس وقدرةً على ضبط الأهواء ، وهذا ملاك الأمر وعموده ، وما اعتقد ان من الخير لنا ان نستفيض بالبحث كثيراً عن اخلاقهم ومزاياهم لأنا بذلك ننزع منزعين مختلفين منزعاً يؤدي بنا الى الرضا عن واقعٍ دنيء مبهرج تطيف به خيالاتٌ من عظمة الماضي وبطولة ممثليه لا يغنيان عنا فيما نحن فيه من شيء إلا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التواكل والخمول ومنزعاً آخر يدعونا الى جبن وخور ينتهيان بنا الى يأس قاهر مميت حين نحاول المقارنة بين أخلاقنا وأخلاقهم وبالأصح بين اخلاق شبابنا واخلاق شبابهم فنرى تلك الشقة البعيدة والهوة السحيقة . فأولئك قوم خرجوا من وادي الحجاز الجاف المنقطع عن الحياة والاحياء فبنوا أفخم بناء في هيكل المدنية وشع منهم النور الى الآفاق كلها هادين مهديين ثابتين قادرين ونحن قوم مقامنا عند مفترق الطرق من حضارات الشرق والغرب ، وليس لنا من هذه الحضارات كلها الا سقطها وحثالتها عفواً ما ينبغي لنا ان نقارن بيننا وبينهم وقد كان الأمر كذلك ، وانما علينا ان ننبش عن عيوبنا كما سنح لنا ذلك ونجتهد في الطب لها لئلا تدوى وتنغل فتعسر علينا بعد ذلك مغبةُ المرض ، واذا سعينا في إصلاح الشباب فانما نسعى في اصلاح العنصر الحي القوي في الأمة فاذا كان هذا العنصر الحي ما يزال سادراً في غلوائه مسترسلاً في أهوائه غافلاً عن واجبه في إنعاش أُمته يُغضي كما اغضت فمتى اذن ستكون نهضتها ومتى ستتثل من كبوتها .

يقولون بانا نحن الشرقيين عاطفيون خياليون روحيون فهل نحن يا ترى كما يقولون ؟ حبذا لو كان الأمر كذلك اذن لاستطعنا ان نجاري أعظم الأمم في رقيها وتقدمها ، بل لكنا في الطليعة من السابقين الاولين ، وبعد فما احسب انه يجوز ان تقوم حضارة وتنهض أُمة ويستبق شعب الا ويسوته الى ذلك قبل كل شيء خياله وعاطفته وروحه فالخيالُ يرسم المثل والاهداف والعاطفة تدفع الى الجري والروح هو المحرك الاكبر أما وانا لسنا من ذلك على شيء فنحن واقعيون بأبلغ ما في الكلمة من معنى ، واقعيون بأبشع صور الواقعية فبحسبنا ان نعيش وبحسبنا ان نأكل ونشرب وننعم بالملذات لنطمئن ونرضى وعلى الدنيا بعد ذلك العفاء ، وليس شبابنا وهم أجدر الناس بانفعالات القلب وخطرات النفس بأقل واقعيةً من غيرهم فلا مبادئ يحيونها ويستمسكون بها ولا أهداف يتأثرونها ولا عملاً خطيراً ينضوون تحت لوائه يسيطر عليهم الضعف النفسي وتتملكهم ميوعة الأخلاق وهم بين أهواء تجتاح رجولتهم وتيارات مختلفة تتناذفهم ومنازع تضربهم ولا يدرون ، اكبر ما يتجلى في اخلاقهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سرعة التقليد لا تقليد الحيوية والجد والنشاط في شباب الأمم بل في تقليد الزخارف والمباهج شان الامم المستضعفة حين تظن انها بذلك تسعى الى الرقي .

فعيشوا ايها الشباب حقاً في جو من الخيال والعاطفة والطموح فليست تطيب هذه الأرض بهذه الادران المادية النفعية عيشوا فيها ولا يفوتنكم ان تملؤوها بالحب والخير والحق والشرف والمثل العليا فلئن عجز واقعنا ان يستقل بالسمو في الروح والقداسة في الخلق والطهر في الشرف فلن يعجز جوكم الجميل ايها الشباب ان يحملها ويُقدّر لها قدرها واحذروا ملء نفوسكم ان تسطو على افئدتكم حوادث الحال وموجبات العيش ان كانت دنيئة فليس يفوز شعب تخذ شبابه الواقع بعجره وبجره مثالاً يحتذونه فانهم ان فعلوا اعادوا الحياة السوآى مراتٍ ومراتٍ على تقلب الأزمان وتعاقب الاجيال واتباع السوء على العمى شر السوءين بل اعملوا ثابتين آملين عازمين على تقرير ما تستطيعون من شرف نفس عز في هذا العالم الأرضي حتى ظن ان لن يبض هذا اللحم والدم الذي هو الإنسان شيئاً مما يسمونه في العالم النظري انسانية وطهراً وضميراً ، ولا يجرمنكم هذا الأتون المستعر من الأجرام والرذيلة والطغيان المادي على أن تيأسوا وتجبنوا فان دب اليكم شيء من ذلك فذرع القبر أرحب لكم من فسحة الدهر فاطرحوا هذا التردد واستقبلوا الحياة بجدكم ونشاطكم واستمسكوا بسنة الدأب والثبات واشربوا نفوسكم القوة في الروح والفكر والخلق إن كنتم تحبون أن تصبحوا بحق من شباب محمد .

عبد الغني الدقر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net